مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد01 .العدد:02. السنة 2018 ص 144– 159
ISSN 2661-765x

النسبية اللغوية والترجمة: الحدود بين الثقافي واللّغوي

* د. أيوب أيت فرية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء، المغرب.

البريد الالكتروني: aitfariaayyoub@gmail.com

ملخص البحث

نقدم خلال هذه المداخلة التعالق بين الثقافي واللغوي في أثناء عملية الترجمة، وكيف تتصور الجماعات اللسانية تمثلات حول الثقافات الأخرى من خلال موروثها الثقافي اللغوي، مستعينين بفرضية النسبية اللغوية Linguistic Relativity لتقديم تصور أولي حول اللغة الأم/ الدخل، قبل اللغة الهدف/ الخرج.

تقديم:

تعد اللغة بتعريفها البسيط، وسيلة تواصل بين شخصين أو أكثر، الهدف منها التفاهم، ولكي يتحقق هذا الهدف لا بد من الاشتراك في معرفة رموز وسنن هذه الوسيلة، وما تحويه من معاني سياقية واجتماعية، وخصوصا الثقافية، فاللغة نتاج إنساني تراكمي وثقافي أنتجته ضرورة تواصل أهل بيئة واحدة بعضهم ببعض، وبما أن اللغة نتاج ثقافي، فإن الثقافة تضفي معاني خاصة

* المؤلف المرسل: aitfariaayyoub@gmail.com

على كل كلمة، وكل تركيب لغوي يستخدمه أهل اللغة، وكثيرا ما تعتبر وعاء حاويا للثقافة، ووسيلة للتفكير تحدد رؤيتنا للعالم، وتقوم بدور تمييزي بين الشعوب.[1]

أما الترجمة، فهي عملية يتم فيها استبدال مفردات لغوية في لغة دخل معينة، بمفردات تماثلها في المعنى في لغة خرج أخرى، وهذه نظرة سطحية لمفهوم الترجمة تقصي جوانب أخرى غير لسانية تتدخل في عملية النقل، وهو الأمر الذي يقره الجاحظ حين قال:" إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيَّات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجَرِيّ"2، مستدركا توضيح ما ينبغي على الترجمان أن يتحلى به حتى تصل عملية الترجمة إلى نضجها قائلا:" وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه".3

تكشف أقوال الجاحظ الواردة في هذا الباب عن كون عملية الترجمة ذات بنية معقدة، تتداخل فيها مكونات لغة الدخل المنقولة (بتعبير الجاحظ)، ولغة الخرج المنقول إليها، وما ينبغي أن يتمتع به الترجمان من قدرة على إتقان اللغتين، وهي نظرة جاحظية تتغافل جوانب أخرى في عملية الترجمة، إذ أن الترجمة الدقيقة تقتضي إيلاء أهمية لثقافة اللغات الدخل/ الأم، بما تحمله من شحنات اجتماعية وثقافية ونفسية... بنتها العشيرة عبر احتكاكها بالعالم الخارجي خلال سنين حتى صارت مألوفة عند أفرادها، باعتبارها تمثل جزءًا من هويتهم الثقافية واللغوية، أما الوقوف عند حدود معرفة نسق اللغتين الدخل والخرج، فإنه لا يعد كافيا لنقل صورة أقرب إلى النسخة الأصلية.

1 جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية- إثنية- دينية، ص 7

2 الجاحظ، الحيوان، الجزء الأول، ص 75-76.

3 نفسه، الجزء الأول، ص 76.

يفرض الأمر وجود ارتباط حتمي بين طريقة تصور أفراد العشيرة اللسانية للعالم الخارجي، وتفكيرهم فيه وبه، وما تواضعوا عليه من مفردات تنقل هذه التصورات، وهي العلاقة التي يُمثَّل لها في إطار فرضية سابير- وورف (النسبية اللغوية)، إذ يقول بنيامين لي وورف: "إننا نجزئ الطبيعة تبعا للخطوط التي ترسمها لنا لغتنا الأم (...)، ونحن نقوم بتقسيم الطبيعة تقسيما منهجيا، وننظمها ضمن مفاهيم متمايزة، ونعطيها دلائل بموجب اتفاقية تحدد رؤيتنا للعالم، وهذه الاتفاقية تعترف بها الجماعة اللسانية التي ننتمي إليها، وهي منظمة تبعا لنماذج لغتنا".1

وتبعا للتصورين أعلاه، فإن عملية الترجمة إنما هي إعادة قراءة للمحيط الخارجي (الطبيعة بتعبير وورف) للغة الأم، ولكن بلغة أخرى، محيط بنى هويته الثقافية والنفسية من خلال جماعة/ عشيرة لسانية، توافقت على نسق صوتي وصرفي وتركيبي ودلالي ومعجمي يعكس رؤيتها لهذا المحيط، ثم يأتي دور الترجمة لنقل نسخة طبق الأصل عن هذا المحيط، فتكون الترجمة هنا تحويلا لتصور ثقافي نحو تصور آخر يتعارض معه في كثير من الأحيان.

1- اللغة والعالم الخارجي: نسبية اللغة

تختلف الألسن، وتتعدد بنياتها، سواء تعلق الأمر بالمستوى المعجمي أو الصوتي أو الصرفي... وهو اختلاف لا يقتصر على ألسن بحد ذاتها، وإنما يهم مختلف الألسن، كيفما كانت طبيعتها، ويرافق هذا التعدد تنوع عميق للمؤسسات الاجتماعية والأعراف الثقافية، فالأنشطة الإنسانية الثقافية واللغوية تتغير باستمرار كلما انتقلنا من جماعة بشرية إلى أخرى، لأنها إرث الجماعة التاريخي الخالص، ونتاج التقاليد الاجتماعية الضاربة في القدم، وكما هو الشأن عند دي سوسير de Saussure ، فإن سابير Sapir يقدم اللغة على أنها مؤسسة تاريخية وثقافية اجتماعية،

1 بسام بركة، الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، ص 6-7، نقلا عن :
SCHAEF A, Langage et connaissance, pp 93-98.,

تتغير في الزمان والمكان بطريقة عفوية على ما يبدو، فاللغة تتوفر على خصيصة تشترك فيها مع كل الظواهر الثقافية، إنها بالأساس نسبية ومتغيرة واتفاقية.1

هب أن هناك حجرا في مجال رؤيتنا، وأن هناك كرة بيننا وبين الحجر، إن العربي يقول في وصف هذا الوضع: إن الكرة توجد أمام الحجر، إلا أن لغة الحاوصا (Housa)- وهي من اللغات الإفريقية- تقول في وصف نفس الوضع: إن الكرة تقع خلف الحجر، وهو ما يمكن بيانه من خلال الجملتين في (1) و(2) اللتان تصفان نفس الوضع:

(1) توجد الكرة أمام الحجر (العربي)

(2) توجد الكرة خلف الحجر (الحاوصي)

إن هاتين الجملتين، وإن كانتا تصفان الوضع الخارجي نفسه، تختلفان معنى وتصورا، إذ كل جملة تعكس التقطيع الجزئي الذي يملك متكلم العربية ومتكلم الحاوصا للعالم الخارجي، باعتباره جزءًا من العالم الذي يعيش به، وما يمكن استخلاصه من هذا الاختلاف في الوصف أن البعد (أمام/ خلف) ليس خاصية لاصقة بالحجر أو الكرة، بل هو بُعد يسقطه المتكلم عليهما، وكيفية إسقاط هذا البعد تختلف من هذه الثقافة إلى تلك، ومرتبطة سببيا بوسائلنا الإدراكية والمعرفية والثقافية، كما يذهب إلى ذلك جاكندوف (1983) Jackendoff، حيث يقول:" فالكيفية التي بنيت عليها ذواتنا البشرية لتأويل العالم – أي القدرة التعبيرية لتمثلاتنا الداخلية- هي التي تحدد ما تصفه اللغة وتقدمه. إن الأمر لا يتعلق بما إذا كانت كيانات معينة تُبنى استجابة لمماثلات خارجية، أو أنها من الثمار الخالصة لخيالنا، إننا نتصرف كما لو كانت موجودة بسبب الكيفية التي نحن مُكَوَّنون بها".2

1 جان بيار برونكار، أنتروبولوجيا اللغة، ص 122.

2 عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 95-96.

يظر أيضا: Jackendoff, R, Semantics and Cognition, p 24-25

إن كنه تحليل جاكندوف (1983)، وجحفة (2000) يبرز تعالقا ثلاثي الأبعاد بين عناصر المتكلم واللغة والعالم الخارجي، ضمن ما يعرف بمثلث بلاكبورن Blackburn، حيث إن اللغة هي التي تشكل رؤية العالم، وتؤثر على الطريقة التي يفهم بها الإنسان العالم، ويتصرف من خلالها في اتصاله به؛ أي أن بنيات اللغة الأم تحدد نمط تصور الجماعة اللغوية لما يحيط بها، أو ما يصطلح عليه بفرضية اللغة ورؤية العالم Language Weltanschauung Hypothesis، التي تعرف عند الدارسين بفرضية النسبية اللغوية.1

وقد تبلورت فرضية النسبية اللغوية في أعمال الأنثروبولوجيين اللسانيين أمثال بواص Boas وسابير Sapir ووورف Whorf، التي لفتت الانتباه إلى أن الاختلاف في الأنساق اللغوية يوازيه اختلاف في الأنشطة الإنسانية والثقافية، وتصور العشيرة اللغوية للعالم الذي تعيش فيه وبه.2

وتنطلق "النسبية اللغوية" من فرضيتين/ مسلمتين رئيسيتين، تتمثل الأولى في أن الاختلافات اللغوية على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية... تكشف اختلافات ثقافية في رؤية الحياة والكون، إذ لا يمكن عزل اللغة عن مخاطبيها ومؤوليها وسياقها الاجتماعي والثقافي الذي وردت فيه، أما الفرضية الأخرى فتتمثل في كون اللغة باعتبارها نسقا ومؤسسة اجتماعية وثقافية، تلعب دورا حاسما في تشكيل الفكر، بل إنها الفكر ذاته، لذلك فهي تعد الوعاء الذي يحتوي الثقافة، ووسيلة التفكير.3

وبتأمل هذه المسلمات التي انبنت عليها فرضية سابير- وورف (النسبية اللغوية)، يلاحظ أنه قد تضافرت لإيجادها تخصصات مختلفة، وتلاقحت ميادين متعددة من أجل وضع إطار نظري

1 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 27-28.

2 حاولت أعمال وورف تحطيم الأساس الفلسفي للنظرية الأرسطية التي تذهب إلى تماثل التجربة العقلية للإنسان، وهو قول غير دقيق وغير صحيح، لأن التجربة الذهنية تتشكل وفق النسق اللغوي المعين الذي تستعمله العشيرة، وهوة ما يطلق عليه الدارسون بمبدأ "الحتمية اللغوية" Linguistic determinism، إذ اللغة تحدد التفكير.

3 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 41.

يهدف إلى الإجابة عن سؤال العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي، وخصوصا الجوانب الثقافية، ولعل أهم هذه الميادين المعرفية ما حققته الفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات من تطور خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، فكانت خلاصة هذا التلاقح أن وُجِدت نظرية النسبية اللغوية التي تقوم في جوهرها على نظرية إينشتاين "النسبية" (1905)، إذ لم تعد هناك حقائق تامة ونتائج علمية كاملة، فأصبحت النسبية أنموذجا Paradigm لكل الحقول العلمية الحقة والإنسانية.

ويعتبر سابير اللغة قبل كل شيء تحيينا صوتيا للتوجه الذي يعمل على رؤية الواقع بطريقة رمزية، وهذا يدل على أن للغة – إلى جانب وظيفة التواصل- وظيفة التمثيل الذي يقوم على خلق بدائل أو تمثيلات للواقع الذي يعرفه المتكلم، وهي بدائل يشكل تنظيمها ما يسمى عموما بالفكر، ويرى أن اللغة مؤسسة ثقافية اجتماعية أساسا تعكس بعض المظاهر الثقافية، وقد تظهر هذه الانعكاسات في مستوى المعجم أو الصوتيات أو الصرف أو التركيب... وفي الحقيقة يُظهر تحليل المعطيات المقارنة أن التأثير الاجتماعي الثقافي لا يتم إلا في مستوى المعجم، أما الأنساق الأخرى فتبدو مستقلة عن أنماط الثقافة، كما يعتقد بوجود محيط طبيعي وثقافة بناها أفراد الجماعة، ولغة تعيد إنتاج بعض الخصائص الثقافية في المعجم لا غير،[1] يقول سابير:" من البدهي أن محتوى اللغة المجرد ذو صلة وثيقة بالثقافة... فالهنود الحمر الذين لم يروا الفَرَس أو لم يسمعوا عنه، كانوا مضطرين إلى اختراع – أو اقتراض- كلمة لتسميته... وإذا أخذنا القضية بمعنى أن مفردات لغة ما تعكس – بدرجة معينة من الأمانة- ثقافة الذين تخدم هذه اللغة أغراضهم، فإنه يصبح من الصحيح تماما أن تاريخ اللغة وتاريخ الثقافة يتحركان في خطوط متوازية".[2]

1 جان بيار برونكار، أنتروبولوجيا اللغة، ص 129.

2 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 21. نقلا عما ورد في كتاب سابير (1921):
Language: An Introduction to the Study of Speech, p 215.

وسيعمق وورف Whorf مواقف أستاذه سابير، فهو يرى أن اللغة هي التي أخرجت المحيط الخارجي الطبيعي والثقافي من العدم، ولولا بنيات النسق اللساني الخاصة لما أمكن إدراكه، ولقد عالج وورف واقع التعدد اللغوي عن طريق ربط اللغة بعلم النفس، حيث اعتبر غاية علم اللغة هي أن يكون طريقة تفسيرية لمشكلات علم النفس، ليصل من خلال ذلك إلى تقديم تفسيرات لمشكلات ثقافية، كما كان يؤكد على أن مهمة علم اللغة تكمن في كشف رؤية العالم عند عشيرة ما.1

وقد تنبه وورف إلى الاختلافات الواضحة بين اللغات في تجسيدها الرمزي لمناحي علاقة الإنسان بالعالم، وخلص بعد كثير من الملاحظات التطبيقية إلى أن اللغة هي التي تشكل رؤية العالم، حيث تقبع الظواهر اللغوية خلف عمليات الإدراك والتصور والسلوك، لتقوم بتوجيهها مشكلة ما سماه "بالظواهر الخلفية"، حيث يقول: " إن خلفية النظام اللغوي (أو النحو) لأي لغة من اللغات ليست مجرد أداة إنتاجية لإظهار الأفكار، بل إنها هي ذاتها المشَكِّلة لهذه الأفكار. إنه البرنامج والدليل لنشاط الفرد الذهني، ولتحليل انطباعاته، ولتركيب مخزونه الذهني".

ومن هنا فإن اختلاف اللغات عتد وورف لا يعني مجرد اختلاف شكلي في بنية النظام النحوي، وإنما يعني اختلاف أنظمة ذهنية، ولذلك يذهب وورف إلى أن تشكيل الأفكار ليس عملية مستقلة؛ أي أنه ليس عملية عقلية rational بالمعنى القديم للعملية العقلية، بل هو جزء من نحو معين.2

ولقد قامت دراسة وورف على مجموعة من الأسس النظرية، لعل من أهمها اعتبار أن الناس يؤدون المواقف بطريقة تشبه الطريقة التي يتكلمون بها عن هذه المواقف، وهو الأساس الذي فرض نفسه في اللسانيات، لأن كل لغة تصور الواقع كما تشاء، وتنظم المعقولات وتولد تأويلات للعالم،

1 محيي الدين محسب، اللغة والفكر ووالعالم، ص 26-27.

2 نفسه، ص 30-31، نقلا عما ورد في كارول Carroll (1956): Language, Thought and Reality, p .212

فالمدلولات اللغوية ليست متطابقة من لغة إلى أخرى، فهي تمثل تصورا للأشياء وحالة الأشياء على قدر عدد اللغات، فرغم أن "الدراجة" و"bicycle" كلمتان ترمزان إلى نفس الشيء، إلا أن العربية وصفته بالدراجة، أي الشيء الذي يدرج، على عكس الإنجليزية (وبعض اللغات الأوروبية) التي وصفته بشيء جامد له عجلتين، وهكذا نرى أن العربية اهتمت بوظيفة الدراجة، في حين ركزت الإنجليزية على شكلها الخارجي، والخلاصة أن كلتا اللغتين قدمتا لمستعمليهما صورة عن العالم الخارجي بشكل مغاير.

وتوصل وورف انطلاقا من اختلاف لغة الهوبي عن اللغات الأوروبية، إلى أن الهوبي والمجتمعات الأوروبية لا ترى العالم بالطريقة نفسها، فالهوبية تعبر عن كلمات من قبيل: "يَرْكُض، رَكَض، رَاكِض" بكلمة واحدة وهي: "Wari"، حيث إن الزمن عندهم غير مقسم إلى أجزاء وغير مرتبط بالمكان، بينما في لغة النوتكا Nootka –لغة جزيرة فانكوفر– تبدو لنا كل الكلمات أفعالا، الأمر الذي يعني نظرة أحادية إلى الطبيعة، على عكس الإنجليزية التي تقسم معظم الكلمات إلى فئتين، لكل منهما خصائص نحوية ومنطقية مختلفة، وهاتان الفئتان هما: الأسماء والأفعال، وهو ما يبين أن اللغة الإنجليزية تعطينا تقسيما ثنائيا للطبيعة.1

كما يذهب وورف إلى أن اللغة الإنجليزية تميل إلى التفكير في الأسماء على أنها أشياء وفي الأفعال على أنها أنشطة، لكن هنود الهوبي Hopi Indians يعبرون عن أشياء مثل البرق واللهب على أنها أفعال، وإذا تأملنا المثال الأكثر تعقيدا والمتصل بالزمان، فإننا نظن أنه من الطبيعي القول "عشرة أيام" بنفس الطريقة التي نقول بها "عشرة رجال"، رغم أننا لا نلمس بالتجربة اللحظية "عشرة أيام"، وبدلا من أن يتحدث الهوبي عن فترات موضوعية من الزمن، فإنهم يعبرون عن الوقت

1 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 37-38.

فقط كما يبدو ذاتيا للملاحظ، على ذلك، فبدلا من القول "مكثت خمسة أيام"، نجد أنهم يقولون "مكثت حتى اليوم السادس".1

لقد سعت الأعمال المؤطرة لفرضية النسبية اللغوية إلى بيان دور اللغة في تحديد التفكير، فهي ترى أن المجتمع لا يرى العالم إلا من خلال لغته، فاللغة تساعد التفكير وتساعد على نموه، وهو ما يجعل التحدث بلغات مختلفة يقابله رؤية العالم بأنماط مختلفة.

2- نسبية اللغة والترجمة

يعرف جاكبسون Jakobson (1959) الترجمة بكونها عملية نقل رموز ورسائل كلامية من لغة إلى أخرى، وهذه الرموز، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، فإنه لكل رمز من تلك الرموز معنى ودلالة، والترجمة هي عملية نقل ذلك المعنى من سجله الأصلي إلى سجل آخر يستقبله. ويميز جاكبسون بين ثلاثة أنماط من الترجمة: ترجمة ضمن اللغة الواحدة Intralingnal Translation، وهي أقرب إلى التأويل، لأنها تُسَمِّي ملفوظات من لغة ما بواسطة ألفاظ تنتمي إلى اللغة ذاتها، وترجمة دلالية Inersemiotic Translation، تقوم على تأويل رموز لفظية بواسطة رموز غير لفظية (علامات المرور مثلا)، ثم هناك الترجمة اللغوية Interlingnal Translation، باعتبارها تعمل على نقل رموز كلامية؛ أي ألفاظ وجمل من لغة/ دخل إلى لغة أخرى/ خرج.2

وفي ارتباط الترجمة اللغوية بفرضية النسبية اللغوية، فإنه تطرح عدة إشكالات ترتبط بكيفية تصور الجماعة اللغوية/ الدخل للحياة والكون في علاقتها بالجماعة اللغوية/ الخرج، خصوصا حينما يتعلق الأمر بترجمة حرفية، لأنها تجعلنا نقرأ في فكر الشعوب الأخرى ما ليس فيه حقيقة، ويسوق كوبر Cooper (1973) مثالا على ذلك كلمة Breakfast التي تؤدي ترجمتها الحرفية إلى

1 جوديث جرين، التفكير واللغة، ص 118.

2 حسن بحراوي، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، ص 266.

أنها تعني Break+fast، أي "كسر الصوم"، في حين أن استخدامها لا يعدو يدل على "وجبة الإفطار"، وهو الأمر الذي يجعل العلاقة بين الترجمة والنسبية اللغوية تتخذ بعدين يلزم تحديدهما بشكل واضح: يرتبط البعد الأول بكون اللغات لا تتوازى من الناحية المعجمية، فقد توجد في اللغة/ الدخل وحدات معجمية تعبر عن أشياء ومفاهيم معينة، لا توجد في اللغة/ الخرج وحدات معجمية موازية تعبر عن هذه الأشياء والمفاهيم، ومن أمثلة ذلك أنه في لغة الحاوصا الإفريقية لا توجد كلمة تعني ما تعنيه كلمة "ضيق"، ولغات الهنود الحمر واللغات الأوقيانوسية (أستراليا) لا توجد كلمة مستقلة تعني "رديء"، في مقابل لغات أخرى تضع وحدات معجمية مستقلة تميز بها بين أنواع من الضيق، ففي العربية مثلا هناك تقسيمات للضيق حيث يقال: مكان ضيق، ومعيشة ضنك، وطريق لَزِب، وصدر حَرِج.

أما البعد الآخر، فهو أن اللغات لا تتوازى من ناحية الدلالة الثقافية، فقد يوجد في لغة/ الدخل وحدة معجمية تعبر عن مفهوم معين، وكذلك توجد في اللغة/ الخرج وحدة معجمية تعبر عن نفس المفهوم، ولكن من منظور ثقافي مختلف، ومثال ذلك كلمة "الشمس" التي يوجد مقابل لها في كل اللغات الإنسانية، ولكننا نجدها في العربية مؤنثة، وفي الفرنسية مذكرة (Le soleil)، وذلك راجع إلى تباين الإطار الثقافي حيث ارتباط الشمس في الأساطير السامية القديمة بالأمومة، ومن ثم عبادتها بوصفها إلهة أُمًّ1ا.

هناك أساس حقيقي لمشكلات الترجمة بين اللغات، قد لمسه كل الذين عالجوا اللغة من منظور ثقافي مقارن، وهو الأمر الذي يقره ستانلي نيومان Newman (1964) قائلا:" في الترجمة نصل إلى ذلك الإدراك غير السار بأن كل لغة – بدلا من تشكيل ذاتها طوعا لإرادتنا- تتحكم في اتجاه تعبيرنا، وتقوده، ومن ثم نتذكر – بوضوح شديد- أن اللغات تنطوي على مقاومة

1 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 71-72.

كم ينظر: Cooper, D, (1973), Philosophy and the nature of language.

داخلية، فمواردها قد تشكلت في أنساق من الأنماط التصورية والشكلية، ومن ثم نضطر داخل أنماط لغة أخرى غير لغتنا إلى إقامة فروق غير متجانسة، وإلى تجاهل فروق أخرى تبدو غير أساسية بالنسبة إلينا".1

إن المقاومة الداخلية للغة الأم تكتسبها من تعالقها بالجماعة اللغوية التي تمثلها، والتي تفرغ فيها كل الحمولات الثقافية والنفسية والاجتماعية، فتصنع اللغة ما تحمي به نفسها من كل ما قد يطمس هويتها ويجعلها تفتقر لعناصر وقائية ضد كل غزو محتمل، كما أن هذه المقاومة تصير صعوبة حقيقية أمام المترجم المتشبع بلغة خرج لها أيضا وسائل مقاومة، ليست على مستوى بنيتها الداخلية، وإنما لما تشبعت به أيضا من حمولة ثقافية، وهذا الأمر يبدو شديد الوضوح حينما يتعلق الأمر بترجمة الأعمال الأدبية، باعتبار هذه الأخيرة الوعاء المطاطي الذي يحمل جوهر الروح الثقافي للجماعة المنتجة لها، فكيف يمكن مثلا ترجمة معلقة عمرو بن كلثوم في الشعر العربي أو غيرها من المعلقات، بكل تلك الأبعاد الثقافية للقبيلة العربية، وقداسة الذكورية، وفروسية المرء، ناهيك عن شاعريته وما يتعلق بها من صور تتجاوز حقيقة الواقع نحو رسم صورة يتباهى بها الشاعر وقبيلته أمام نظرائه، ثم تحتفظ الترجمة بكل ما تعكسه اللغة/ الدخل من هذه الأبعاد، وهو أمر فيه نوع من الغلو.

ولا يقتصر الأمر على الأعمال الأدبية الحاضنة للموروث الثقافي، بل إن المصطلحات العلمية الخاصة تعرف صعوبة عند الرغبة في نقلها إلى لغة/ خرج أخرى، إذ أن أي استعمال علمي للمصطلحات يؤدي إلى توقع اختلاف معانيها عند تعريفها بالنسبة لكل لغة معينة، بل إن هناك احتمالا بانعدام معانيها بالنسبة لبعض اللغات، أو هكذا يتصورها وورف، وهي الفكرة التي تواجه كل من يتصدى لترجمة المصطلحات الخاصة مثلا بنحو لغة معينة إلى لغة أخرى، ويتبدى ذلك من

1 نفسه، ص 73-74، نقلا عما ورد في كتاب نيومان (1964): Linguistic Aspects of YOKUTS Style in Hymes. P 372.

خلال ترجمة بعض مصطلحات النحو العربي إلى الإنجليزية، إذ يورد المترجم أكثر من صيغة في ترجمة المصطلح الواحد أو يأتي بعبارات شارحة، أو يلجأ إلى استعارة مصطلحات لاتينية، أو يكتب المصطلح كتابة صوتية في إطار ما يعرف بالاقتراض، ومن أمثلة ذلك مصطلح "المفعول المطلق" حيث يترجمه المستشرق رايت wright بثلاث صيغ هي:

(3) صيغة أولى: Objective complement

صيغة ثانية: Absolute object

صيغة ثالثة: Cognate accusative

أما المستشرق هاول Howell فيترجم المصطلح نفسه باستخدام صيغة رابعة هي: unrestricted، كما أن رايت يترجم مصطلح "الفعل المضارع" بالمصطلح Imperfect، وهي ترجمة لا تنظر إلى الدلالة اللغوية للمصطلح، وهي دلالة مقصودة في المصطلح العربي، حيث إنه يشير إلى مشابهة هذا الفعل للاسم في قبول التغير الإعرابي، فيقبل الرفع والنصب والجزم.

ومن أمثلة ذلك أيضا مصطلح المصدر في النحو العربي، إذ يستخدم رايت مقابلا له المصطلح اللاتيني nomen verbi، بينما يترجمه المستشرق الهولاندي كيس فرستيغ بصيغة Infinitive تارة، وتارة أخرى يستخدم الكتابة الصوتية، بينما يستخدم هاول الصيغة Infinitive noun للمصطلح العربي نفسه.1

ولا يقتصر الأمر على ترجمة مصطلحات من النحو العربي بكل ما تحمله من مرجعيات مرتبطة بالثقافة العربية، بل يتجاوزه إلى ترجمة المصطلحات اللسانية الأجنبية إلى اللغة العربية، ومثاله مصطلح Optimality، إذ يذهب محمد الفتحي (2006) إلى ترجمته بالمفاضلة، حيث إن أي دخل معطى تكون له خروج عدة، والذي يستجيب لنسق القيود يكون الأفضل، غير أن ما يؤخذ

1 محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 35-36.

على مفهوم المفاضلة هو تلك النزعة غير العلمية القائمة على مبدإ التمييز بين الجيد والرديء، وبين الجيد والأجود، والتي آثرت اللسانيات البنيوية منذ نشأتها عدم الخوض في مثل هكذا قضايا، لارتباطاتها الذاتية وابتعادها عن الموضوعية، ويرى تورابي عبد الرزاق (2004) أن الترجمة الأنسب لهذا المصطلح هي صيغة الأمثلية، بينما يتبنى بلبول (2007) مفهوما آخر باستعماله مصطلح المثلوية، في حين يقترح مبارك حنون تسميته بمقابل المثلى، أما مصطفى غولة فيستعمل اصطلاح الأولويات.1

خاتمة:

إن ما تكشفه الأمثلة أعلاه – وهي قليل من كثير لا يسعف المقام لذكر معظمها– هو وجود عسر يعترض عمل المترجم، ليس على مستوى تمكنه من لغة الخرج والدخل معا، وإنما محاولة منه استيعاب التنوعات الثقافية بين اللغتين، وإيجاد السبل لكسر المقاومة الداخلية للغته الأم قصد نقل صورة أقرب إلى الحقيقة، أبعد عن خيانة النص الأصلي.

لا ينكر أحد قيمة الترجمة في بناء المعرفة، وربط جسور التلاقح بين عشائر مختلفة، وتقريب الهوة بين حضارات الماضي والحاضر، نحو بناء صورة عن المستقبل، لكن ذلك لا يتأتى إلا إذا كنا أمام ترجمة حقيقية، تراعي طبائع اللغات ومتكلميها، وما يرتبط بهم من أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية، وإلا فإن الترجمة ستصير تجنيا على النص الأصلي، ليس من حيث بنيته اللغوية، ولا من حيث بنية اللغة الخرج، وإنما من حيث تمكين القارئ من استيعاب الفروق بين النسختين، استيعابا ينبني على ضمان التكافؤ بينهما، والكشف عن الرؤى المختلفة للعالم.

1 محمد الفتحي، الأبنية في اللغة العربية: تفاعل الصرف والتطريز، ص 76.

ينظر أيضا: عبد الرزاق تورابي، الأفعال المعتلة في اللغة العربية: مقاربة أمثلية، ص 77.

محمد بلبول، مدخل لنظرية المثلوية، ص 1.

وإذا كانت الترجمة عملية نقل نص أصلي إلى لغة أخرى، فإنه ينبغي التريث في أثناء هذه العملية، فبقدر استيعاب النص داخليا تتبدى حدود أخرى خارجية، تظل قراءته بعيدا عنها مجرد نقل صوري- حرفي مجرد من أشياء تساعد على إدراكه في الزمان والمكان، خصوصا في ظل عولمة لا تستحيي من تكسير الحدود الفاصلة بين الثقافات، وتحاول تنميط الإنسان، لغة ومداركا وتصورات للعالم.

لائحة المصادر والمراجع باللغتين العربية والأجنبية

1. بحراوي، حسن: (2015)، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 43، الكويت.
2. بركة، بسام: (2012)، الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة تبين، العدد 1.
3. برونكار، جون بيار، أنتروبولوجيا اللغة، ترجمة أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد 22، مكناس، 2004.
4. بلبول، محمد: (2007)، مدخل لنظرية المثلوية، مجلة اللغات واللسانيات، العدد 18-19، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
5. تورابي، عبد الرزاق: (2004)، الأفعال المعتلة في اللغة العربية: مقاربة أمثلية، في كتاب سمات الفعل وطرق بنائها، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط.
6. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده، الطبعة 2، مصر، 1384هـ/ 1965م.
7. جحفة، عبد المجيد: (2000)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. الطبعة 1.
8. جرين، جوديث، التفكير واللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1992.
9. جوزيف، جون: (2004)، اللغة والهوية: قومية، إثنية، دينية، ترجمة عبد النور خراقي، مجلة عالم المعرفة، عدد 342، الكويت، 2007.
10. الفتحي، محمد: (2006)، الأبنية في اللغة العربية: تفاعل الصرف والتطريز، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس.
11. محسب، محيي الدين: (1998)، اللغة والفكر والعالم: دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة 1، القاهرة.

12. Carroll, J: (1956), Language, Thought and Reality, Selected writing of B. L. Whorf. Tbe MIT Press. Mass.
13. Cooper, D: (1973), Philosophy and the nature of language, London longman.
14. Jackendoff, R: (1983), Semantics and cognition, MIT Press.
15. Jakobson, R: (1959), On linguistic aspects of translation. In R.A. Brower ed on translation, Combridge, Mass, Harvard university press.
16. Newman, S: (1964), Linguistic Aspects of Yokuts Style, In Hymes, D. ed: Language in culture and society.
17. Sapir, E: (1921), Language: An introduction to the study of speech, New York: Harcourt, brace and company.
18. Schaef, A: (1969), Langage et connaissance, Paris Anthropos, Collection Points.